مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

حراك الجامعات الأمريكية:

تمرّد ضد المسلّمات الصهيونية أم تحرّكات ظرفية؟

د. عبدالرزاق غراف
باحث أول
مركز الخليج للأبحاث

من الثورة البلشفية الى الثورة الجزائرية الى الحرب الفيتنامية الى الثورة الإيرانية وثورات أوروبا الشرقية الى معظم الأحداث الدراماتيكية الحاسمة خلال القرن العشرين. شكّلت الجامعة محرّكا رئيسيا للحياة والأحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية ورافدا محوريا لكثير من التغيرات والتحولات التي شهدتها عديد الدول، بداية من كونها موطنا لإنتاج كل ما هو مستحدث فكريا وصناعة النخب المجتمعية، الى كونها قاطرة لقيادة التحولات والتغيرات السياسية التي تمر بها المجتمعات، بداية بثورات التحرّر مرورا بإسقاط أنظمة وحكومات والتأسيس لأخرى وصولا الى قيادة حركات اجتماعية وثقافية ذات دلالات سياسية شكّلت أزمات لأركان الدول التي مرّت بها

لم يكن الغرب بمعزل عن تأثير الجامعة في الحياة العامة بما فيها السياسية، ففي فرنسا ساهمت الجامعة ونخبها كبير المساهمة في تأسيس الجمهورية الفرنسية الخامسة أواخر خمسينات القرن العشرين، وبعد عقد من حكم «شارل ديغول» ساهمت ثورة الطلبة في اسقاط الأخير بعد موجة احتجاجات تلتها عديد الأحداث السياسية ادت في النهاية الى خروج ديغول من الباب الضيق، ولم تكن الأحداث الجارية في كثير من الدول أوروبا الغربية والولايات المتحدة بعيدة عن تأثير الجامعة التي ظلت نخبها أحد محاور الأحداث، على غرار دور الاحتجاجات الطلابية وانتفاضة الجامعات الأمريكية في دفع الرأي العام الأمريكي ضد توجهات إدارة نيكسون في حرب فيتنام بداية سبعينات القرن الماضي، وموجة الثمانينات التي ساهمت في سقوط نظام الفصل العنصري «الأبرتايد» في جنوب افريقيا

منذ بداية العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة ومع تراجع السردية الإسرائيلية القائمة على التسويق لمظلوميتها عبر أداء دور الضحية، وصعوبة التحكم في الرواية الإسرائيلية وسط الثورة المعلوماتية الراهنة رغم كل التضييق الذي يتعرّض له المحتوى الفلسطيني من طرف كبرى الشركات العالمية في مجال وسائط التواصل الاجتماعي، شهدت الجامعات الأمريكية نشاطا دؤوبا مناهضا للدعم الأمريكي غير المحدود عسكريا وسياسيا واقتصاديا لإسرائيل التي تمارس إبادة جماعية لم يعد للتبرير المؤسساتي الأمريكي الرسمي انطلاقا من قاعدة الدفاع عن النفس أي شرعية خاصة مع تصاعد الدعاوى بضرورة مراجعة الدعم العسكري الأمريكي لإسرائيل بالنظر لعدم توافق ذلك مع المشروطية الامريكية المتعلقة بالقانون الدولي لحقوق الانسان

صناعة النخبة في الجامعات الأمريكية:

ايقانا منها بدور الجامعة في صناعة النخب سعت دوائر النفوذ الصهيوني في الولايات الأمريكية منذ أزل ليس بالقريب الى بسط سيطرتها على طبيعة ونمط الانتاج النخبوي الأمريكي، انطلاقا من أن نجاحها في هذا المبتغى يعدّ تمهيدا للمبتغى الأكبر المرتبط بالسيطرة على دوائر صنع القرار الأمريكي، فبلغة الأرقام ستة عشر (١٦) رئيسا أمريكيا ومئات أعضاء الكونجرس والقضاة وحكام الولايات ممن تخرجوا من جامعات النخبة، ما يفسّر الإعتماد الكبير للإستراتيجية الصهيونية في الولايات المتحدة على هاته المؤسسات، التي بداخلها يتم تنشأت الجيل الصاعد من المسؤولين الذين يتعرضون لما يشبه البرمجة على حتمية الإيمان بالمسلمات الصهيونية وما ينجر عنها من مسؤولية الولايات المتحدة اتجاه حماية إسرائيل، على النحو الذي يجعل مصالح الأخيرة في غالب الأحيان أولى من المصالح الأمريكية في حد ذاتها.

> سعت دوائر النفوذ الصهيوني في الولايات الأمريكية منذ أزل ليس بالقريب الى بسط سيطرتها على طبيعة ونمط الانتاج النخبوي الأمريكي

الجامعة تقود ثورة الوعي: هل تنجح في تدشين عصر التنوير للرأي العام الأمريكي؟

الحراك الذي بدأه قلة قليلة من الطلاب والنشطاء الحقوقيين وبعض رموز النخبة من المتمردين على الرواية الصهيونية تحّول في أيام الى ما يشبه كرة الثلج الآخذة في التضخم رغم كل التحديات والعراقيل، وذلك بعد تطور الحراك الطلابي في جامعة كولومبيا وقرارات رئيستها عقب استجوابها أمام الكونجرس بالسماح بدخول الشرطة لفض الإعتصام الطلابي داخل حرم الجامعة، وعلى العكس من المنتظر تحّول صمود الطلاب أمام كل مظاهر التهديد الى نموذج للمحاكاة في باقي الجامعات بخاصة ما يعرف في الولايات المتحدة بجامعات النخبة حيث لحقت بدرب جامعة كولومبيا حوالي ٧٥ جامعة أمريكية بل إن المحاكاة انتقلت الى جامعات أوروبية كبرى على غرار جامعة السوربون في باريس وجامعة برلين وغيرها.

من هارفارد وبنسلفانيا الى جورج واشنطن ويل وتكساس وكاليفورنيا وغيرها من جامعات النخبة توسع الحراك الطلابي كالنار في الهشيم بل أنه وصل الى بعض الجامعات المنتمية لمحافظات حكامها ذوي انتماءات حزبية جمهورية وهم الأكثر تصهينا، في مشهد أقل ما يوصف به أنه تاريخي سواء من حيث الحجم والإنتشار أو من ناحية طبيعة المشاركين فيه من أساتذة ورؤساء أقسام بل وأبناء مسؤولين في الهيئات المحلية والفيدرالية، أو من ناحية المطالب المرفوعة وعلى رأسها وقف

التعاون وتمويل هذه الجامعات لإستثماراتها في إسرائيل وفي مقدمتها تلك الإستثمارات التي تدعم قطاع الصناعة العسكرية الإسرائيلي، ما يبرز حجم مخاطر ذلك على موقع إسرائيل في الداخل الأمريكي ومعها مستقبل الرواية الصهيونية في الادراك والعقيدة المجتمعية الأمريكية، وهو ما يفسّر من جهة أخرى حجم القلق الذي أبانت عليه الحكومة الإسرائيلية وحلفائها في دوائر صنع القرار الأمريكي من تطورات المشهد الحالي وتداعياته الراهنة والمستقبلية على العلاقات الامريكية الاسرائيلية.

الرأي العام الأمريكي هو الآخر ليس بمنأى عما يحدث من حراك داخل جامعات النخبة، ففي ظل موقع الجامعة الرائد في التأثير على الرأي العام، وبالنظر لحالة التناقض شبه الكلي بين رهانات الحراك الجامعي الراهن والمسلّمات التي لطالما حرصت دوائر اللوبي الصهيوني على غرسها

> الرأي العام الأمريكي هو الآخر ليس بمنأى عما يحدث من حراك داخل جامعات النخبة

في المجتمع الأمريكي وتحويلها الى عقيدة مجتمعية يصعب التملص منها تحت أي تأثير طوال العقود الماضية وبخاصة منذ الحرب العالمية الثانية، هي كلها معطيات كفيلة بتفسير حجم الخطر الداهم الذي يشكّله هذا الحراك وحالة التخبّط في كيفية مواجهته مع صعوبة التوجه المفرط في استخدام القمع لما لذلك من تداعيات أولا على المنظومة القيمية الأمريكية الداخلية وثانيا على صورة الولايات المتحدة الخارجية كحامل للواء هذه المنظومة أمام المجتمع الدولي التي من اجل نشرها وحمايتها حسب الخطاب الأمريكي الرسمي خاضت أمريكا حروبا وسنّت عقوبات ووخُصصت لها ميزانيات ورُسمت سياسات واستراتيجيات ضمن ما يعرف بالقوة الأمريكية المعيارية الناعمة في الوثائق الاستراتيجية للأمن القومي الأمريكي

ورغم صعوبة تحديد معالم التأثر المنتظر للرأي العام الأمريكي بهذا الحراك، وبالتالي مدى تأثر صورة إسرائيل والمظلومية التي سعت المنظومة الصهيونية لترسيخها طوال سبعة عقود ماضية،

إلا أن الثابت أن الحراك الطلابي الراهن له ما بعده، بحيث وبالنظر لسابقته التاريخية فإن الثابت أن هذا الحراك فصل بين عصر وآخر على النحو الذي أصبحت معه السردية الصهيونية ليست من المحرّمات التي لا يجب التطرّق إليها بل هي شأن كباقي الشؤون يتعرض للنقد والإنتقاد وهو ما يعدّ أهم ما تم تحصيله من هذا الحراك لغاية اللحظة على الأقل، في انتظار توسع هذا المنظور خارج فئات الطلاب والنخبة ليشمل باقي التنظيمات المجتمعية على غرار فئات العمال والموظفين والنقابات وبعض مؤسسات المجتمع المدني غير الخاضعة للتمويل والتسويق الصهيوني، وهو توسع متوقع بالنظر لطبيعة تجارب احتجاجات نخبوية سابقة نجحت في التوسع خارج حدود النخبة التي حملت لواءها في البداية، توسعت بموجبها فواعل التغيير في حركات اجتماعية ذات دلالات سياسية.

«التمويل والتشغيل»/ آليات ضغط اللوبي الصهيوني على جامعات النخبة

الحراك الطلابي الراهن في الجامعات الامريكية ورغم صعوبة تحديد حدود تأثيره على الدعم الأمريكي الرسمي لإسرائيل، إلا أنه يعبّر في أحد أهم أبعاده عن حركية مقلقة يقودها جزء من النخبة الأمريكية ضد هذا الدعم، والمقلق أكثر مدى التأثير المنتظر لهذا الحراك على الرأي العام الأمريكي الذي لطالما عاش تحت تأثير الآلة الإعلامية والمالية والسياسية للوبي الصهيوني وذراعه السياسي «AIPAQ» الذي شكّل شبكة قوية من العلاقات العامة للترويج لإسرائيل بداية ثم لتبرير أعمالها لاحقا، فضلا على انتاج نخب موالية لإسرائيل والسيطرة على كل مفاصل الحياة التعليمية ومؤسساتها وبرامجها ساهمت في ترسيخ مظلومية إسرائيل في الادراك المجتمعي الأمريكي وتحويل الأمر الى ما يشبه المسلمات العقائدية التي لا يجوز المساس بها بل وتقنين ذلك بحجة معاداة السامية التي أصبحت في حالة تقاطع شبه كلي مع معاداة الصهيونية لدى غالبية دوائر صنع القرار الأمريكي.

في قلب هذه الاستراتيجية الصهيونية تقع الجامعات التي يعتمد الكثير منها على تمويل الشركات الكبرى المعروفة بولائها لإسرائيل، والتي تشارك من جانب آخر في توظيف آلاف الكوادر من خريجي الجامعات سنويا، ما جعل سيف

> السردية الصهيونية ليست من المحرّمات التي لا يجب التطرّق إليها بل هي شأن كباقي الشؤون يتعرض للنقد والإنتقاد وهو ما يعدّ أهم ما تم تحصيله من هذا الحراك لغاية اللحظة

التمويل والتشغيل أحد أهم آليات سيطرة اللوبي الصهيوني على الحياة الجامعية في الولايات المتحدة، في مقابل ذلك سعت إسرائيل عبر لوبياتها لخنق كل مصادر التهديد والتشكيك في موقع إسرائيل المتفرد في الداخل الأمريكي، رغم أن هذه الحالات الاستثنائية من النخبة الامريكية المشكّكة والمندّدة والناقدة لإسرائيل لطالما ظلت وما زالت كذلك بشكل فردي لم يصل لدرجة بناء استراتيجية واضحة عبر عمل تنظيمي مشترك تجمع هذه الجهود ضمن مسار ثابت، ولعّل العزلة التي تعّرض له الثنائي «جون ميرشايمر» أستاذ العلوم السياسية بجامعة شيكاغو و«ستيفن والت» أستاذ العلاقات الدولية بجامعة هارفارد بسبب دراساتهم حول تأثير اللوبي الصهيوني على السياسة الخارجية الامريكية لأكبر دليل على ذلك.

إدارة «جون بايدن» أمام توازنات صعبة:

شكّلت الحرب الإسرائيلية الراهنة على قطاع غزة بكل تداعياتها السياسية والعسكرية والاقتصادية والاستراتيجية في ظل الوضع الإقليمي الراهن شكّلت عبئا ثقيلا على الإدارة الامريكية التي وجدت نفسها في كثير من الأحيان أم صعوبة الموازنة بين مصلحتها ومصلحة إسرائيل، كما لاقت الكثير من الصعوبات في كيفية التعامل مع حكومة اليمين المتطرف في تل أبيب التي أبدت في حالات عديدة عدم استجابة لبعض المطالب الأمريكية مراهنة بذلك على قوة اللوبي الصهيوني في إلزام الإدارة الأمريكية بمستلزمات الدعم الأمريكي لإسرائيل، فرغم استجابة الحكومة الإسرائيلية للمطلب الأمريكي المرتبط بعدم الإندفاع نحو حرب مفتوحة مع حزب الله وتحويل الصراع الراهن في غزة الى حرب إقليمية فضلا على نجاحها في إلزام الحكومة الإسرائيلية بالرد المحدود على ايران عقب هجوم الأخيرة عليها بطريقة لم يسبق وأن حدثت، إلا أنه وفي مقابل ذلك فشلت إدارة جون بايدن لغاية الآن في دفع الحكومة الإسرائيلية نحو الإيفاء بتعهداتها الإنسانية اتجاه سكان القطاع، كما فشلت في دفع الأخيرة نحو تسوية سياسية تكون مخرجا لمعادلة الصراع الصفرية الراهنة،

فضلا على صعوبة التكهن بمدى نجاح الضغوط الأمريكية في ثني الحكومة المتطرفة في تل أبيب عن أي مغامرة غير محسوبة العواقب مرتبطة بالهجوم على مدينة رفح في أقصى جنوب قطاع غزة، ما سيدفع بالوضع الإقليمي برمته الى شفا الإنهيار في ظل ارتباط ذلك بالأمن القومي المصري والتوازنات الإقليمية الأخرى

الإدارة الديمقراطية في البيت الأبيض تدرك أن العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة وطبيعة المخرج المنتظر سيكون أحد أكثر الملفات الشرق أوسطية تأثيرا على حملتها الانتخابية، خاصة في ظل عجز هذه الإدارة على تحصيل أي منجزات إقليمية طوال الأربع سنوات الماضية من عهدتها، وإن كان تطبيع العلاقات السعودية الإسرائيلية كان من أهم رهانات هذه الإدارة لتقديمه على أنه من المنجزات التي يعتد بها، إلا أن هذا الرهان بدى محفوفا بالمخاطر بسبب الموقف الإسرائيلي من حل الدولتين من جهة، وتغير المعطيات منذ هجوم السابع من أكتوبر فضلا على تبعات ذلك على الموقف السعودي في حد ذاته، وهو ما يفسّر هذا التعنت الأمريكي في إعطاء الموافقة للحكومة الإسرائيلية من أجل تنفيذ هجوم رفح.

قلق إسرائيلي من الحراك ومخرجاته:

لم تدرك دوائر صنع القرار الإسرائيلية عند بداية الحرب للحجم المنتظر للتراجع الرهيب في صورة إسرائيل أمام الرأي العام العالمي وفي مقدمته الرأي العام الغربي وبخاصة الأمريكي منه. هذا ما اشارت إليه كثير من المصادر الإسرائيلية في حد ذاتها، فبعد مرور أكثر من مئتي يوم على العدوان الاسرائيلي الهمجي على قطاع غزة يأتي هذا التطور الملفت المتعلق بتصاعد الحراك في جامعات النخبة الأمريكية ليشكّل حلقة إضافية في خسائر إسرائيل في عقر دار أهم حلفائها، ولعّل أن مكمن الخطر

يتمحور حول أمرين رئيسيين

الأول/ تراجع فعالية الآليات الكلاسيكية لنشر الدعاية المسوقة للسردية الصهيونية حول ديمومة مظلوميتها، وهو ما ساهم وبفعالية كبيرة في توجهات المجتمع الأمريكي لعقود ماضية ونظرته لإسرائيل، ومن الصور الدالة على ذلك تراجع فعالية استخدام «معاداة السامية» كآلية لوأد الحراك الطلابي الراهن رغم كل محاولات تأجيج القمع واعتماد الحل الأمني لإحتواء الحراك انطلاقا من هذا الاعتبار، ما قد يفرز نتائج وخيمة على إسرائيل حاليا ومستقبلا في ظل معركة الوعي الجارية

الثاني/ البعد العالمي المناهض لإسرائيل والمنحاز

لم تدرك دوائر صنع القرار الإسرائيلية عند بداية الحرب للحجم المنتظر للتراجع الرهيب في صورة إسرائيل أمام الرأي العام العالمي

للحق الفلسطيني والذي تجسّد بصورة واقعية في توسع رقعة الحراك الجامعي الراهن خارج الولايات المتحدة نحو كثير من الدول، سيلقي حتميا بظلاله على مستقبل تأثير الدوائر المساندة لإسرائيل وروايتها الصهيونية ليس في الولايات المتحدة فحسب بل أمام الرأي العالمي ككل، وهو ما سيحمل تكلفة باهظة على إسرائيل مستقبلا قصُر الزمن أو طال، خاصة مع توفر تجارب سابقة على غرار دور مثل هذا الحراك في سقوط نظام الفصل العنصري في جنوب افريقيا

ختاما ورغم صعوبة التنبؤ بطبيعة المخرجات المنتظرة من وراء الحراك الطلابي الراهن في ظل السيناريوهات المختلفة المحيطة بمستقبله وحدود تأثيره على المسلمات الراسخة منذ عقود في العقيدة المجتمعية الأمريكية، وحتى لو افترضنا محدودية هذا التأثير وربما ظرفيته الراهنة بالتوافق مع استمرار الحراك وتزامنا مع استمرار الحرب الاسرائيلية على قطاع غزة، لكن الثابت أن الحراك في الجامعات الأمريكية قد عكس وجود إمكانية لصناعة الإرادة النخبوية اللازمة لتحدي الرواية الصهيونية الداعمة بشكل مطلق لإسرائيل وأفعالها، وهو ما قد يشكّل واقعا جديدا في حال ما تم البناء على هذه الإرادة النخبوية من أجل صناعة إرادة سياسية تزاحم النفوذ الصهيوني الطاغي على توجهات دوائر صنع القرار الأمريكي مستقبلا وهو ما تخشاه إسرائيل وحلفائها أشد الخشية كونه موردا ورافدا رئيسيا ليس لحسم معركتها الراهنة وفقط بل لإستمرار كينونتها ووجودها المستقبلي.

Gulf Research Center
Knowledge for All

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

www.grc.net